المحاورات السقراطية (١)

بقلم الاستاذ ا . د . لندساى

تعريب الأستاذ

ابراهيم عبد الحميد زكى

٢ — أقوال أرسطو

يشير أرسطو الى سقراط . فى عدة عبارات . ويذكر خصائصه كفيلسوف تميزاً له عن أتباعه ومن بينهم أفلاطون وإنه لجدير بنا أن نلاحظ هذه العبارات على قلتها .

فى الكتاب الثالث عشر من الغيبيات يقول: ان ثمة شيئين يمكن اسنادهما بحق الى سقراط . وهما المحاورات فى التعريف العام . ونريد بالمحاورات تلك المحادثات التى تقود فيها مناظرك بواسطة سلسلة من الموافقات . فأما أن سقراط اتخذ هذا الأسلوب من الجدل فواضح فى جميع المصادر التى لدينا .

والتعريف العام هو ما يشير اليه زينوفون عند ما يقول فى الميمورابليا (كتاب ٤) : إن سقراط حاول على الدوام أن يكشف طبيعة كل شيء . وهذا هو الذى أصبح عند أفلاطون البحث عن الفكرة أو المثال :

كلتا هاتين النقطتين منطقيتان .

وفى عبارات أخرى يشير الى الأخلاق . « فى الأدب الكبير » جزء ١ فصل ١ — يقول أرسطو: إن سقراط فى تعاليمه فى الأخلاق كان خيراً من فيثاغورس . ولكنه لم يكن مصيباً « لأنه جعل الفضائل علوماً (أو أشكالا من المعرفة) ولكن هذا رأى مستحيل . ثم يوضح أرسطو سبب استحالته فيقول « وعليه فانه بجعله الفضائل علوماً قد أهمل الجزء غير العاقل من النفس ، وبذلك أهمل كلا من الشهوة والخلق الأدبى . ولذلك فقد كان مخطئاً هنا فيما قاله عن الفضائل . ثم قسم أفلاطون بعد ذلك — وهو مصيب — النفس الى جزأين : العاقل وغير العاقل»

وتتعلق عبارات أخرى فيما كتب أرسطو بهذه النقطة وهى أن سقراط قال إن الفضيلة

(١) راجع الجزء الثالث من هذه المجلة

هى العلم . فأوقع نفسه فى صعوبات لأنه لم ير أن الفضيلة تنتظم شيئاً آخر فيقول أرسطو « إن كثيرين يقولون إنه من المستحيل إذا نال الانسان المعرفة ألا تكون له قوة الارادة لأنه — كما قال سقراط — اذا كانت المعرفة فى الانسان ، وسيطر عليه شىء آخر وجده كأنه عبد رقيق يصبح الأمر غريباً . لأن سقراط قد قاوم بشدة الفكرة القائلة بأن هناك ضعفاً فى الارادة . فقد قال ان المرء لايفعل عمداً شيئاً ضد ما هو خير ولكنه يفعل ذلك عن طريق الجهل فقط ولكن هذا الرأى مناقض للواقع (كتاب الأخلاق الى نيقوماخوس ٧ — ٣)

ويقول فى موضع آخر « لهذه الأسباب يقول بعض الناس ان كل الفضائل أشكال من التبصر ، وفى هذا كان سقراط مخطئاً بعض الشىء ، ومصيباً بعض الشىء ، مخطئاً فى ظنه الفضائل أشكالا من التدبر . ولكننا نراها تتضمن التدبر »

ويبين أرسطو أن هذا قد ورط سقراط فى الجبرية فيقول « قال سقراط إنه ليس فى قوتنا أن نكون خيرين أو شريرين لأنه كما يقول ، لو أنك سألت أى رجل عما إذا كان يحب أن يكون عادلا أو ظالماً فلن تجد أحداً يختار الظلم . وبمثل ذلك مع الجرأة والجبن وجميع الفضائل الأخرى . وعلى هذا فواضح أنه إذا كان الرجال شريرين فليس ذلك براجع الى ارادتهم . وكذلك فليس بارادتهم اذا كانوا خيرين (الأدب الكبير ٩٠١)

ويبين ارسطو أيضاً فى نقد مانتج بعد ذلك من جانبية سقراط كيف أنه خلط بين الفضيلة والفنون فيقول : « إن سقراط الشيخ كان يؤمن بأن معرفة الفضيلة هى الغاية ولذلك تساءل عن كنه العدالة والجرأة وهكذا عن عناصر الفضيلة ، ولقد بنى ذلك على أساس لأنه ظن أن كل الفضائل أشكال من المعرفة ، أى أن معرفة ما هو عادل وكونك عادلا شىء واحد . لأننا إذا تعلمنا الهندسة وبناء المنازل كنا بفعلنا هذا بنائين ومهندسين ولهذا السبب كان يتساءل عن ماهية العدالة ولا يتساءل كيف ولا من أى الشروط توجد . والآن فهذا حق تماماً فى العلوم النظرية لأن علم الفلك والعلوم الطبيعية والهندسة لا تتعلق بشىء سوى المعرفة والتأمل فى طبيعة موضوع هذه العلوم . ولو أن ذلك لايمنع كونها قد تصبح نافعة لنا لأغراض كثيرة ضرورية ، ولكن فى العلوم المنتجة الغاية شىء منفصل عن العلم والمعرفة ، فمثلا الصحة مختلفة من الدواء ، والدستور المنظم مختلف عن

السياسة ، ولا شك أن معرفة كل الأشياء أمر حسن . أما اذا كان الأمر مع الفضيلة فأكثر الأشياء قيمة هو ليس أن تعرف ما هى الفضيلة ولكن أن تعرف شروطها لأننا لا نريد أن نعرف ماهية الشجاعة ولكن أن نكون شجعاناً كما أننا لا نود أن نعرف كنه العدالة ولكن نود أن نكون عادلين . فمثلا لأن تكون متمتعاً بالصحة خيراً من أن تعرف ما هى الصحة ، ولأن تكون فى حالة حسنة خيراً من أن تعرف ما هى الحالة الحسنة (الأخلاق الى أوديم ١ ، ٥)

كل هذا الدليل، وما بقى منه ذو أثر واحد ، وهو أنه يرينا أن تعاليم سقراط الرئيسية كانت اثبات أن الفضيلة والمعرفة شىء واحد أو بمعنى آخر أنه قد صير الأخلاق عقلية تماماً . وانه كما هو أمر طبيعى بالنسبة لمن هو فى الطليعة كان تعلقه هذا جانبياً .

ويظهر من اصراره على أن يجب تطبيق العلم والتدبر على السلوك كما يطبقان على كل شىء سواه وعلى أنه قد أكد أن المعرفة أو القدرة على تعريف الفضائل هى الشىء الضرورى الوحيد . ولذلك فانه اذا كانت المعرفة لدى رجل ، لزم بالضرورة أن يكون خيراً . وأنه إذا لم تكن لديه ، لم يستطع أن يكون خيراً . وهذا يعنى ، كما يقول أرسطو ، أنه تجاهل للعناصر غير العاقلة فى النفس ، وانه لم يستطع أن يدلى بتوضيح الحقيقة القائلة بأن الناس قد يعلمون ما هو صائب من غير أن يفعلوه ، ويمكن أن يفعلوا ما هو صائب من غير أن يكونوا قادرين على توضيحه .

هذه فكرة أوحاها تأثير سقراط المتعدد الجوانب . وإذا كانت الآراء قد تضاربت بهذا الشكل بين أتباعه على جوهر تعاليمه ، فاننا نستدل من هذا على أن تعليمه لم يكن كاملا ، ولا منظماً ، أو على الأقل أنه تضمن تناقضاً رئيسياً ، أو نقصاً أخذ أتباعه المختلفون يحاولون إيجاده بطرق متباينة .

وثمة عنصر فى تعاليمه يسترعى الانتباه ويعزز ذلك الذى قدمنا ، ألا وهو اعترافه بجهله فهو قد أصر على احتياجنا الى المعرفة ، ومع ذلك فقد اعترف أنه هو نفسه لم يكن له منها نصيب سوى معرفة أنه جاهل . وكان كل ما علمه هو مجرد الأسلوب فى معالجة المسائل الأخلاقية وقد أتى هذا الأسلوب فى أيد مختلفة بنتائج متباينة جداً . ويزيد على ذلك ان سقراط لم يكن فيلسوف مدارس . فهو لم يكتب شيئاً وإنما كان يتكلم ويسأل

ويجادل فقط . ولم يكن تأثيره فى سامعية آت من ناحية حقائق محدودة أعلنها ولكنه آت من ذلك الاسلوب الذى تكلم به ومن شخصيته وأسلوب سقراط فى الاستجواب وفى الجدل كان المصدر العام لجميع الفلسفات التى أتت من بعده كما كانت مصدراً لجميع المحاورات السقراطية .

وفيما كتب أفلاطون وزينوفون الدليل على الطابع غير الفنى لتعاليم سقراط . وأحسن ما قيل فى ذلك هو ما فاه به الكبيادس فى محاورة افلاطون « المأدبة » (صفحة ٢٢١ من مطبوعة Everyman) وهو ما يلى :

« إذا أصغى أى فرد الى كلام سقراط ظهر له لأول وهلة أنه مضحك جداً . فهو يتكلم دائماً عن حمير السوق والنحاسين والحذائين والدباغين . وهذه هى عادته على الدوام حتى أن أى رجل غبى أو شخص قليل الملاحظة ليضحك من حديثه »

وازن ذلك بالفقرة الآتية من جورجياس ٤٩١ :

كالكليس « كيف ! أتذهب تتحدث على الدوام بنفس الاسلوب يا سقراط ؟ »

سقراط « نعم يا كالكليس . وأيضاً عن نفس الأشياء » .

كالكليس « نعم بحق الآلهة . إنك لتتحدث على الدوام عن الاسكافيين والباعة المتجولين والطباخين والأطباء . كأن هذا له علاقة بجدلنا »

كذلك فى الميمورابليا (١ فصل ٢) يجعل زينوفون كريتياس يقول لسقراط «ولكن سيكون حتماً عليك أن تمتنع عن التكلم عن أولئك الاسكافيين والحدادين . حقاً انى لأظن أنهم قد بلوا الآن من كثرة ورودهم على لسانك »

وهنالك فقرة أخرى بهذا المعنى فى الميمورابليا (٤ فصل ٤)

« حدث أن هيبياس الاليسى فى عودته الى أثينا بعد غياب ، مر بسقراط عند ما كان يبين لبعض الناس غرابة الموضوع الآتى ، وهو أن الانسان لا يعجز أن يبعث غيره ليعلمه أن يكون اسكافاً أو نجاراً أو نحاساً أو راكباً ، ولكن الحال مع العدالة ليست كذلك . فاذا أراد أن يتعلمها هو أو يجعل ابنه أو عبده يتعلمها لا يعرف أن يذهب لينال بغيته . فلما سمع هيبياس ملاحظته قال له كن يمزح معه « ما هذا ! ألا تزال تقول نفس الاشياء التى سمعتها منك يا سقراط منذ مدة طويلة » ؟

ابراهيم عبد الحميد زكي